معمودية الماء

القس باسم أدرنلي

كنيسة الإتحاد المسيحي الإنجيلية في الأراضي المقدسة
القدس - 2019

ما هي المعمودية؟

المعمودية هي خطوة طاعة من طرف الإنسان، للختم على قبول عهده مع الله من خلال خلاص المسيح بموته وقيامته. الخلاص يناله الإنسان بالإيمان ويمنحه للإنسان حالا بعد الإيمان. لكن في المقابل يحتاج الإنسان أن يختم على هذا العهد بخطوة المعمودية (مثل شراء بيت (الإيمان)، وتسجيل البيت (خطوة المعمودية)؛ لذلك هي أمر إلهي وفريضة يجب أن يقوم بها الإنسان المؤمن التابع للمسيح. تتم عن طريق التغطيس التام في الماء بروح التكريس والإعلان للإيمان، بحضرة الله والكنيسة.

علامة العهد القديم والجديد:

إن عهد الختان هو فوق وقبل شريعة موسى؛ حيث أعطيَ لإبراهيم حوالي 600 سنة قبل شريعة موسى (تكوين 17: 13). وأكد الله لموسى على وجوب ممارسة الختان على شعب الرب والغريب الساكن في وسطهم، قبل عهد الناموس (خروج 12: 48)؛ وبعده أيضًا (لاويين 12: 3). لكن مع هذا، أكد موسى للشعب أن قصد الله من خلال علامة الختان، هو ختان القلب والداخل:

"6 وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا" تثنية 30.

وبخلاف الختان المرئي الجسدي؛ موسى فهم أن الله سيقوم بختان قلبي للشعب؛ وهذه عملية فقط الرب يقدر أن يقوم بها!!

وهذا وعد موجود كنبوءة في العهد القديم، عما سيحقق المسيح في مجيئه الأول – العهد الجديد:

"31 هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا... 33 بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" إرميا 31.

فالعهد لن ينتهي مع شعب إسرائيل؛ لكن الله عمقه

وفتحه لجميع الشعوب؛ ليشمل تجديد متكامل لقلوبهم وحياتهم بشكل تام، بالروح القدس.

الله يغير علامة العهد مع الله، من الختان للمعمودية!

كما نعلم، المسيح جاء لتحقيق الوعد الابراهيمي العالمي: "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تكوين 12: 3)؛ وتحقق فعلا بالمسيح:

"14 لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ (الذي يختن القلوب)" غلاطية 3: 14.

فالله لم يغير عهده مع إبراهيم بل كمَّله بالمسيح؛ وغير فقط علامة العهد من الختان للمعمودية. وحققه عندما

فتح الباب من جديد لسكنى الله، بروحه القدوس، في قلوب المؤمنين به. وذلك بتقديم نفسه ككفارة عن خطايا جميع البشرية. وانتصاره على الموت الذي ابتلانا به آدم، وجعل الحياة الأبدية من نصيب كل شخص يؤمن به ويقبل يده المُنقِذة وحياة المسيح فيه. فغلب المسيح الموت، وهو أكبر عدو للإنسان؛ ووضع إشارة الموت والقيامة في علامة العهد الجديدة – المعمودية:

"11 وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ 12 مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ." كولوسي 2.

فالآية تقول إننا خُتنا ختانًا غير مصنوع بيد، ختان

المسيح! أي الله لم ينهِ عهد الختان، لكن كمَّله ورفَّعه، فغير علامته، واستبدلها بالمعمودية.

إذًا كان الختان، هو علامة الختم على العهد الإبراهيمي مع الله وامتد لشريعة موسى؛ وبها يقطع الذكور فقط العهد مع الله، بقطع غرلة أجسادهم، بدم أنفسهم، لكي يعلنوا أنهم ينتمون لشعب الرب.

أما في ظل العهد الجديد، فالرب جعل خطوة المعمودية هي علامة قطع الإنسان لعهده مع الله؛ وهي للإناث مثلهم مثل الرجال؛ وهي علامة في العالم الروحاني، وليس الجسدي؛ ونقطعها ليس على أساس دمنا، بل على أساس دم المسيح الذي المسفوك لأجلنا.

كما قال:

"وَكَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" لوقا 22: 20.

وهنا نأتي لسؤال هام:

لماذا كان يجب أن يغير المسيح علامة العهد من الختان للمعمودية؟

إن عهد الختان الذي أبرمه الله مع إبراهيم، كان يعكس محدودية كبيرة؛ وهي أنه يُصنع في الجسد (الذي مفترض أن يكون مات مع المسيح، رومية 7: 4)؛ وفقط مع الرجال! فماذا عن النساء؟؟

نعلم أنه بعدما أخطأ آدم وحواء، حدثت عواقب كثيرة للخطية، مذكورة في تكوين 3 و4. أحدها هو سيادة الرجل الأثيمة على المرأة:

" إِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" تكوين 3: 16.

نتكلم هنا عن سيادة أثيمة، لم تكن في نموذج خلق الله من البدء.* وهي ظاهرة موجودة في كل الحضارات، وعبر كل الديانات، بطريقة أم بأخرى.

وعندما أتى المسيح وتمم الخلاص لجميع البشر، وأصبح الخلاص متاح للجميع. قام بإصلاح الكثير من العواقب الأثيمة للخطية. منها تثبيت المساواة بين الرجل والمرأة بالقيمة والحقوق (وليس بالأدوار):

"28 لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ."

غلاطية 3.

لذلك غير المسيح علامة العهد من الختان، الذي يعطي علامة في الجسد، وفقط مع الرجال؛ إلى المعمودية التي تعطي علامة بالروح وليس بالجسد (أي تُرى فقط في العالم الروحاني)؛ وهي للنساء، مثلهم مثل الرجال تمامًا.

* إن سيادة الرجل على المرأة، كأحد عواقب الخطية المذكورة في تكوين 3: 16؛ فيها يتكلم الوحي عن ظاهرة سلبية، وليس إيجابية. لذلك ليست لها أي صلة مع وصية: "22 أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ" (أفسس 5). بل هي تعرض ببساطة أحد عواقب الخطية الأثيمة. أما الطلب من كل طرف، أن يوفي العدل والحق للطرف المقابل (في أية أفسس 5 السابقة)، هي قضية مختلفة. فيها نرى افتداء لهذه اللعنة؛ حيث تعطي المرأة خيار الخضوع الطوعي للرجل؛ وأن يمنح الرجل المحبة لامرأته، حتى الموت. أي أن المسيح انتشل الرجل من حالة التسلط على المرأة، والتي جعلته يشعر بالحق في تَمَلُّكها؛ إلى جعله يعيش ليبذل ذاته ونفسه لأجل امرأته.

المعمودية هي أمر من المسيح شخصيًا:

"19 فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ." متى 28

"15 وَقَالَ لَهُمُ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا 16 مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ" مرقس 16.

فالمعمودية هي فريضة لا مساومة عليها؛ وهي فرض ضروري أن يحدث بعد الإيمان. طبعًا من لا يعتمد لا يفقد خلاصه، فعبارة "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ" لا تعني أنه لا خلاص بدون معمودية، حيث الشطر الثاني منها يقول "وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ" ولم يقل "ومن لم يؤمن ويعتمد يدن". أي أن الخلاص وفقدانه، معتمد فقط

على الإيمان. لكن المعمودية هي فريضة فيها نختم على قبولنا لخلاص المسيح لنا بالإيمان. وامتناعنا عن القيام بها، يعبر عن عدم احترامنا وتقديرنا لخلاص المسيح الموهوب لنا بالنعمة.

كيف تتم عملية المعمودية:

المعمودية هي تغطيس كامل في الماء؛ فمعنى كلمة معمودية باليونانية (Baptizo– بابتيزو) تعني تغطيس كامل. أيضًا نصوص العهد الجديد تؤكد هذا، فعند معمودية المسيح، يقول النص:

"3 فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ" متى 3.

أي كان تحت سطح الماء. وأيضًا عندما عمد فيلبس

الخصي الحبشي، يقول الوحي:

"38.. فَنَزَلاَ كِلاَهُمَا إِلَى الْمَاءِ، فِيلُبُّسُ وَالْخَصِيُّ، فَعَمَّدَهُ. 39 وَلَمَّا صَعِدَا مِنَ الْمَاءِ.." أعمال 8.

المعنى الروحي للمعمودية:

يشبِّه الكتاب المقدس المعمودية بالموت، الدفن والقيامة لنا، بحياة جديدة مع المسيح:

"4 فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟" رومية 6.

"8 مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا

مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ"

كولوسي 2.

فمعمودية الماء ترمز الى موتنا عن حياتنا القديمة،

ودفننا مع المسيح، وقيامنا معه في الحياة الجديدة معه؛

كما تقول الكلمة:

"17 إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ:

الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا"

2 كورنثوس 5.

وعندما يطيع المؤمن الله في خطوة المعمودية، يعلن

عن ختم قبوله لخلاص المسيح، وإعلانه التام أنه

سيتبع المسيح في الحياة الجديدة. والحياة الجديدة

يجب أن تكون حياة لأجل المسيح بالإيمان، وليس

حياتنا لذاتنا. لذلك يقول:

"20 مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" غلاطية 2..

المعمودية لا تطهر الخطايا:

إن الوحي يؤكد على أن دم ذبيحة المسيح وحده، هو الذي يغفر خطايانا، وليس المعمودية:

"7 وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" 1 يوحنا 1.

"28 لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" متى 26.

"26 فَإِذْ ذَاكَ (أي المسيح) كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَارًا كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ" عبرانيين 9.

وماذا عن معمودية يوحنا المعمدان، ألم تغفر خطايا؟

وهنا يساء فهم معمودية يوحنا المعمدان؛ ويتم خلطها بمعمودية العهد الجديد. فكلا الاثنين مختلفين تمامًا.

أولا: حتى معمودية يوحنا المعمدان، لم تكن لمغفرة الخطايا، بل التوبة هي التي تؤول لمغفرة الخطايا:

"4 كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" مرقس 1.

"3 فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" لوقا 3.

والتوبة التي دعا لها يوحنا المعمدان، كانت مؤسسة على الإيمان بالمسيح المزمع أن يخلص البشر بفداءه:

"1 فَحَدَثَ فِيمَا كَانَ أَبُلُّوسُ فِي كُورِنْثُوسَ، أَنَّ بُولُسَ بَعْدَ مَا اجْتَازَ فِي النَّوَاحِي الْعَالِيَةِ جَاءَ إِلَى أَفَسُسَ. فَإِذْ وَجَدَ تَلاَمِيذَ 2 قَالَ لَهُمْ: «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ: «وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ». 3 فَقَالَ لَهُمْ: «فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟» فَقَالُوا: «بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا». 4 فَقَالَ بُولُسُ: «إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ، قَائِلاً

لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ، أَيْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ». 5 فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ."

أعمال 19.

فنلاحظ في النص، بعدما أعلن لهم عن فداء المسيح، كان يجب أن يعتمدوا مرة ثانية بعد معمودية يوحنا باسم المسيح؛ أي بحسب أمر المسيح، وهو: "بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ".

العمر المقبول للمعمودية:

الوحي يؤكد ويقول: "12 وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ"

يوحنا 1.

فقبول المسيح، يحتاج لقرار مبني على الفهم والإيمان الكتابي الصحيح، الشامل والفعال. لذلك يجب أن يكون المتعمد ذات عمر كافي ليقرر هذا لحياته، دون أي ضغط من الأهل أو المجتمع. بل يجب أن يقرر هو ذاته، هل يريد أن يتبع المسيح أم لا؟ ولماذا؟ وماذا يعني تبعية المسيح؟ لذلك في إطار كنيسة الاتحاد المسيحي الإنجيلية في الأراضي المقدسة، يتم قبول الأولاد من عمر 8 سنين، لهذه الخطوة. شريطة شهادة أهلهم على إيمانهم، وقبول الكنيسة لهم، من خلال فحص إيمانهم إذا كان سليمًا أم لا.

وماذا لو مات الطفل، دون أن يعتمد؛ ماذا سيكون مصيره؟

سيكون مصيره السماء طبعًا، لأن الأطفال الأبرياء بحسب نظرة المسيح، مصيرهم ملكوت السماوات، حيث قال:

"14 أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»" متى 19 (كذلك في مرقس 10: 14 ولوقا 18: 16).

وأيضًا عندما مات ابن داود الملك، قال عنه:

"أَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهِ وَأَمَّا هُوَ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيَّ" (2 صموئيل 12: 23). فإذا اعتبرنا أن داود من أهل الحياة الأبدية، وهو كذلك. ومن الذين أعلن لهم جزء من وحي الله؛

فهو يعلن بروح النبوءة، أنه سيراه في الفردوس، وهذا يؤكد خلاص الأطفال الأبرياء، تمامًا كما قال المسيح.

ماذا يُعلَن المعتمد عند المعمودية:

يسأل الخادم القائم بالمعمودية المؤمن المُقْدِم على المعمودية، أسئلة يعلن المؤمن أيمانه من خلالها، قبل المعمودية. وذلك عن طريق الرد على الأسئلة التالية:

1- هل تؤمن بأن يسوع هو المسيح المنتظر، مُخَلِّصْ البشر الوحيد؟

2- هل تؤمن بأن المسيح هو الله المتجسد، الذي نزل لكي يخلصك من خطاياك؟

3- هل تؤمن بأن المسيح مات على الصليب، دفن،

ومن ثم قام من بين الأموات في اليوم الثالث، ليدبر خلاصًا أبديًا للبشر؟

4- هل تؤمن بأنه سيرجع مرة ثانية بمجده، ليدين الأموات والأحياء، وسيحكم إلى أبد الآبدين، وأنت معه.

5- هل سلمت حياتك للمسيح، فتريد أن تتبعه، تحيا له، مكرَّسًا وخاضعا لقيادة الله الروح القدس؟

6- هل تكفر بكل معتقداتك القديمة دينية وغيرها، وبطرق الشيطان، التي عشت بها قبل الإيمان بالمسيح؟

من ثم يدخل المؤمن المُقدِم على المعمودية مع الخادم القائم على المعمودية، للماء. ويُعلن الخادم للمؤمن

المُقدِم على المعمودية، أمام الله، الملائكة والكنيسة قائلا: "بناء على إعلان إيمانك هذا (الست نقاط السابقة)، أعمدك باسم الآب، والابن، والروح القدس" ومن ثم يغطسه بالماء تغطيسًا كاملاً، لمرة واحدة.

صلاة منا ككنيسة لك

ليبارك الرب خطوة الطاعة هذه لقلبك وحياتك؛ فتتبع المسيح بأمانة وصدق، وتتكل عليه في كل كبيرة وصغيرة.

وليكن المسيح، من خلال الكتاب المقدس وقيادة الروح القدس، مرشدك وممكنك لكل عمل صالح أعده لك:

"6 لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" غلاطية 5.